ظهور البترول و أثره في التغير الاجتماعي والثقافي في دولة قطر

د /عبد الغفور،
الأستاذ المساعد،
كلية أن. أي. أم ، كلّكندي ،كنور.

النفط أحدث "ثورة" في البناء الثقافي في منطقة الخليج وربما بدون النفط لم تكن بالامكان تحقيق "ثورة" بهذه الكمية وبهذه الغزازة. أي ربما استطاعت دول الخليج أن تتغير ثقافياً بشكل تدريجي دون النفط، ولكن لا يقدر أحد أن يتصور أن يكون التغير بهذه السرعة الزمنية وبهذه النوعية والكيفية والعمق من التغير دون تأثير النفط.

يعتبر البترول هو المصدر الرئيسي للدخل في قطر حيث يؤمن نحو 90 في المئة من إيرادات الدولة، ولقدكرست دولة قطر كل جهودها للإستفادة الكاملة من هذه الثروة، ليتسنى لها تحقيق أكبر قدر ممكن من الرخاء للمواطنين. واستهدفت سياسة الدولة في هذا الصدد الإهتمام بأعمال البحث والتنقيب وتطويروسائل الإنتاج للزيت الخام ومشتقاته وتحقيق التكامل في الصناعة المحلية للبترول ومشتقاته.

ويلعب البترول دور بارز في عملية التنمية الإقتصادية للدولة بإعتباره المصدر الأساسي للدخل القوي والركيزة الأساسية في تمويل خطط التنمية الإقتصادية بالإضافة الى دوره في إنشاء الصناعات البتروكيماوية أو استخدامه كمصدر رئيسي للطاقة، ومن بين وجهات نظر عديدة معظمها حول موضوع التغير والتحول الذي أصاب مجتمعات الخليج والتي إتفقت على أن النفط هوالمؤشرالوحيد على تغير المجتمعات، من يرى أن المجتمعات البدوية انتقلت من حياة البداوة مباشرة الى الحياة الحضرية المرتبطة بالتصنيع نتيجة للمشروعات الإقتصادية التي تقام في تلك المجتمعات،والتي تعتمد على أساليب مختلفة في تقسيم العمل وتوزيع العائدات.

بإكتشاف النفط نقل السكان أنشطتهم الإقتصادية من البحر الى البر. حيث هجر البحارة والعمال سفنهم التي قبعت ساكنة في المرافئ فى استراحة أبدية بعد أن كانت تصول وتجول في مياه الخليج الدافئة . وبإكتشاف البترول تغير نمط الحياة الإجتماعية فقد هجرالكثير من السكان بل الغالبية العظمى منهم البحر وإتجهوا للعمل في الشركات حيث ان العمل في هذه الشركات أكثر ضماناً وأوفر دُخلاً للفرد من عمل الغوص أو الصيد .

كانت تعمل في دولة قطر عدة شركات حاصلة على إمتيازات للبحث والتنقيب عن البترول واستخراجه ونقله وهذه الشركات هي شركة نفط قطر المحدودة، شركة شل قطر المحدودة وشركة الزيت القطرية المحدودة (اليابان). ولقد كانت شركات البترول في الماضي تستولي على نصيب الأسد من الإنتاج في معظم المنتجة للبترول، وكانت الدول المستهلكة للبترول هي التي تتحكم في أسعاره لأن معظم الشركات العاملة في إنتاجه وتسويقه من تلك الدول الصناعية.

وبعد فترة من الزمن بدأت الدول العربية بالمطالبة بحقوقها النفطية المهضومة واستطاعت في عام 1974 أن تحصل هذه الدول ومنها قطرعلى حقها الكامل في استغلال ثروتها النفطية. فقد أعلنت دولة قطر في 22/12/1947 م ان جميع حقوق وممتلكات الشركات البترولية في قطر ملك للدولة وهكذا آلت جميع الأسهم البترولية الى قطر.

الو اقع الاجتماعي

ونتيجة للتطور الإقتصادي الكبير، وللطفرة المادية التي حدثت بعد اكتشاف النفط، فقد أدى هذا التغير المادي السريع الى تغير في جميع نواحي الحياة الفكرية والإجتماعية فتغيرت الكثير من المفاهيم والعادات والتقاليدالتي كانت راسخة في المجتمع. وبسبب ظفرة النفط ظهرت أربع طبقات في المجتمع بشكل جلي أولها الطبقة الحاكمة ثم تليها طبقة التجار الرأسماليين، ثم الطبقة الوسطى ، وأخيرا، الطبقة الدنيا. وقد عبرتركيب المجتمع في مناطق الإستقرار السكاني عن وجود مجموعتين متمايزتين من السكان: وهما الحضر سكان المدن والقري الساحلية، ثم البدو الذين سكنوا الصحراء وشكلوا الظهير الداخلي. ويتكون سكان قطر من عدة قبائل بالإضافة الي الأجانب الذين وفدوا اليها بعد ظهورالنفط، ويتكون غالبيتهم من الإيرانيين والباكستانيين والهنود والبلوش (من بلوتشستان) والبتان (الباكستان) والإنجليز وأقلية اوروبية (هولنديين وفرنسيين وألمان). بالإضافة الى العرب وغالبيتهم من الفلسطينيين والمصريين والأردنيين. بالإضافة الى عرب الجزيرة من حضارمة وعدنايين وسعوديين ويمنيين، وعرب الخليج من عمانيين وبحرينيين.

القبائل القطرية

يمكننا أن نقسم القبائل الموجودة في قطر الى قسمين: أولا، قبائل الحضر وثانيا، قبائل البدو. أهم قبائل الحضر هي قبيلة "المعاضيد" التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة ويرجع المعاضيد بنسبهم الى (بني تميم). والقبائل الأخرى الحضرية هي قبيلة البوكوارة وقبائل المهاندة والمسلم والبنغلي والبوعينين .

الو اقع الثقافي

ويمكن أن نميز بين مرحلتين في الحياة الثقافية والفكرية، المرحلة الأولى وكانت قبل تدفق عائدات النفط، وتميزات الحياة الثقافية فيها بالحمود. وبالرغم من ذلك وجدت بعض النشاطات الفكرية بين سكان الصحراء . حيث مارس سكانها الرعي وتربية الحيوان وغيرها من الصناعات البدوية البسيطة، مثل الخيام والبسط واليمن والأجبان و ظهرت بعض الفنون التعبيرية مثل الغناء والعرضة وللشعر النبطي وفي السوالحل وجد ت الأنشطة، القائمة على الغوص والصيد والنقل البحري والتجارة فقد برزت الفنون البحرية والشعر الشعبي . ولعبت بعض المجالس الخاصة دورا، مهما، في الحياة الثقافية، وكان يفد اليها الكثير من العلماء من سواحل ايران ومن نجد والأحساء وغيرها من المناطق المجاورة، وكانت تدور فيها أحاديث الفقه والأدب وتتناهل فيها الآراء المختلفة ويجتمع فيها أيضا، المهتمون بالشعر والأدب، وكانت تدور بداخلها المباحثات الأدبية والشعرية وكان روادها يتباحثون في شؤون الأدب والشعر والتاريخ، وشهدت هذه المجالس إقبالا، كبيرا، عليها من الشعراء والمهتمين بالأدب.

وكانت الحياة الثقافية في هذه المجالس خاضعة للتيار التقليدي. كما أن الشعر العامي كان هو اللون الغالب في تلك الفترة لأن إنتشار الشعر الفصيح مرتبط بإنتشار التعليم من حيث المبدعين ومن حيث الجمهور. اشتهر في هذه الفترة بعض الشعراء الذين ينظمون الشعر بالعامية مثل حمد بن مبارك المالكي، سبت بو شرود السليطي، سعيد بن سالم البديد، صالح بن سلطان الكواري، عبدالله بن سعد المهندي، علي ابن أرحمه المالكي ويوسف بن عبدالله المالكي .وكذلك كان هناك الشعر الفصيح وان كان قليلا، وذلك لإرتباط انتشاره بإنتشاره التعليم، انحصر الشعر الفصيح في الموضوعات التقليدية مثل المدح، الرثاء، الغزل، الفخر.

ومن أشهر الشعراءالمنظمين للشعر بالفصيحي الشاعر ابن عثيمين والشاعر أحمد بن يوسف الجابر وأحمد بن مشرف التميمي وعبدالرحمن بن درهم صاحب الكتاب الأدبي الكبير "نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار" ومن أدباء المرحلة السابقة لانتاج النفط الأديب عبدالرحمن بن صالح الحليفي وكان له ديوان شعر ضاع معظمه، وله مؤلف "بستان الأكياس والأفراد من الناس" وهوعبارة عن كتاب أدبي جمع فيه مختارات من الشعر والأمثال والحكم والقصص التاريخية من كتب التراث القديم وطبع الكتاب عام 1936.

التعليم ما بعد النفط

يعتبر التعليم من داخل المرحلة الثانية من دراسة الأدب العربي للدولة. وهي مرحلة ما بعد النفظ، حيث كان للنفط الدور الأكبر في النهوض الثقافي من خلال التعليم الرسمي الذي ظهر منذ بداية الخمسينيات وتطور في

الستينيات والسبعينيات، و صاحب ظهور التعليم أيضا ايفاد الطلاب للدراسة في الخارج منذ عام 1959 وماصاحب ذلك من التأثير والتأثر على مستوى الفكر، كما أسهم في الاطلاع والانفتاح على التيارات الثقافية والأدبية التى كانت موجودة في مجتمع الدراسة كما كان الاستقدام المدرسي من الخارج خاصة من مصر وسوريا والأردن وفلسطين له، دور في التأثير الثقافي المباشر خاصة على الطلبة الذين يدرسونهم.

وبعد فترة قصيرة من بدء ظهور النفظ في البلاد عام 1949م وبعد ان أصبحت عوائد النفظ تدر على البلاد المال، قام الشيخ حمد بن عبدالله باستدعاء أحد رجال التعليم من الشارقة وهو الأستاذ محمد بن على الحمود ومعه ثلاثة مدرسين. وتم افتتاح مدرسة شبه نظامية هي مدرسة الاصلاح المحمدية وكان المنهج المتبع في التدريس فيها هو المنهج المصري وكانت تدرس فيها العلوم الاسلامية واللغة العربية والتاريخ والحساب وفي العام الثالث أدخلت اللغة الانجليزية.

ولعل أول مدرسة نظامية أنشئت في قطر هي المدرسة التي أنشئيت عام 1951 م وكانت تضم (240) طالبا، وبها ستة مدرسين. وفي عام 1956 م تشكلت وزارة التربية والتعليم، وكان أول وزير لها الشيخ خليفة بن حمد وفي العام التالي ترك الوزارة لأخيه الشيخ قاسم بن حمد الذي ظل وزيرا للتربية والتعليم حتى عام 1976 م حين انتقل الى رحمة الله.

وقد أنشئت أول مدرسة للبنات في عام 1954 م وقد بلغ عدد المدارس حسب أمضائية 1976 م حوالي (118مدرسة) منها (59) مدرسة للبنات وبلغ عدد طلا بها حوالي (ثلاثين ألف) طالب وطالبة في مختلف مراحل التعليم. كذالك اتجه الاهتمام الى التعليم المهني الذي ابتدأ في عام 1965م بانشاء مدرسة الصناعة ثم افتتح المعهد الديني عام 1961 م، وفي عام 1962 م أنشئت دارالمعلمين والمعلمات تم معهد الاذارة في عام 1965 م ومعهدالغات في عام 1972 م.

وقد توجت النهضة التعليمية في البلاد بافتتاح كليني التربية للمعلمين والمعلمات في عام 1973م. والكليتان تضمان أقساما مختلفة، ولكن كل هذه التخصصات تدور حول محور أساسي هوالأعداد التربوي لخلق المعلم المؤهل علميا وتربويا لتحمل مسؤلية التعليم في البلاد. ولا شك أن افتتاح هاتين الكليتين أثرا على الحياة الثقافية اضافة الى كونها مرحلة تعليمية عالية في البلاد. ومما هو جدير بالذكر أن هاتين الكليتين هما نواة للجامعة القطرية التي يجري الأعدادلاستكمالها في السنوات القادمة. وأصبحت جامعة قطر اليوم تضم الى جانب كلية التربية

كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية وكلية العلوم وكلية الدراسات الاسلامية وكليةالهندسة . وعلى هذا يمكن ان نقول ان قطر شهدت في الربع الأخير من القرن العشرين و في بداية هذا القرن نموا ملحوظا في مجالات التربية والتعليم مما له با لغ الأثر على المجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة. أما حقبة السبعينات فيمكن وصفها بحقبة الثورة القطرية. ففي هذه الحقبة تضاعف عدد سكان قطر ست مرات وسكان الدوحة اثنتى عشرة مرة .

الأندية الأدبية والثقافية

قامت (ادارة رعاية الشباب) بتنظيم الأندية الموجودة في قطر وكلها أندية رياضية ، ولكن الادارة خصصت أحد هذه الأندية و هو (نادي الجسرة) لكي يكون ناديا تقافيا واجتماعيا ويهتم بتنمية المواهب الفنية واحياء الندوات الثقافية .وهناك أيضا بعض الأندية والمراكزالثقافية الموجودة.ولعل ام هذه الأندية كان :

.1نادي المكتبة الاسلامية

فهذا كان في عام 1953 م حيث تقدم عدد من الشباب بطلب لافتتاح ناد ثقافي ولكن قوبل طلبهم بالرفض، ثم تم تعديل طلب الترخيص باسم المكتبة الاسلامية.

.2نادي الطليعة

تأسس هذا النادي في عام 1959 م ورأس النادي على خليفة الكواري ، أما أهم الانشطة التي كان يمارسها النادي فكانت الندوات والمحاضرات والجلسات الحوارية.

.3نادي كبار المؤظفين (نادي الخليج)

تأسس هذالنادي في أواخر الخمسينات 1957 م . وكان معظم أعضائه من الانجليز العاملين في شركات النفظ وبعض المواطنين وكان اسمه في البداية نادي الصقر(Doha Falcon)وكان برأسه انجليزي . ثم تغير اسمه الى نادي الخليج عندما كثر المترددين عليه من القطريين .ورأسه خلال فترة من الفترات الشيخ جاسم بن حمد وزير المعارف، وكانت تمارس فيه الأنشطة الثقافية والفنية والاجتماعبة والالعاب الرياضية الخفية، وكان النادي يضم مكتبة وقام باصدار مجلة حائط ، كما كان يعرض أفلاما سينمائية.

.4نادي الجزيرة

أنشئ هذاالنادي في عام 1960 م وكان يؤمه عمال الشركة من قطريين من فئة العمال اليوميين. وكانت تمارس فيه أنشطة ثقافية وفنية اجتماعية ، وتأسست فيه فرقة مسرحية وغنائية قدمت بعض الأعمال المسرحية مثل مسرحية "بداية ونهاية "ومسرحية "عرب فلسطين" ومسرحية "نصيحة أب " وهي مسرحية اجتماعية،

ومن الأندية التي ظهرت خلال تلك الفترة ولها علاقة بالانشطة الثقافية كان ايضا نادي اتحاد العرب هو ناد ثقافي اجتماعي أسسه أسعد نصر. ومن الاندية ايضا نادي النجاح الذي أنشئ في بداية الستينات وكان له نشاط ثقافي واجتماعي بالاضافة الى نشاط الرياضي .

المركز الثقافي

وفي عام 1976 م افتتح المركز الثقافي الذي عرف فيما بعد باسم "ادارة الثقافة والفنون". حيث أن انشاء مثل هذاالمركز كان من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم الحياة الثقافية والفكرية في البلادوما زالت. ان هذاالمركز يقوم في الوقت الحاضر بدور فعال في تنشيط الحركة الثقافية والادبية في مختلف المجالات فهو الى جانب المحاضرات والندوات الثقافية التي يقيمها بين آن وآخر .يقوم كذالك بالأعداد لنشر بعض الكتب والدواوين التي تتصل بالتراث القطري.

المكتبات العامة

لم تعرف قطر المكتبات العامة خلال المرحلة السابقة لانتاج النفط عدا المكتبات الخاصة التي كان موجودة في المجالس، ولكن بعد تدفق النفط وظهورالتعليم الحديث تغير الوضع وظهرت الحاجة لوجود مكتبة عامة ولذالك أنشت أول مكتبة في عام 1954 م . وقد انشاها حاكم قطر في تلك الفترة الشيخ علي، واشترى لها مجموعة ضخمة من الكتب من الهند و في عام 1962 ضمت المكتبة العامة ومكتبة المعارف مكونة دارالكتب القطرية وخصصت بها قاعة كبيرة للمطالعة، وكان بها بالاضافة الى الكتب مجموعة من المخطوطات النادرة و كذالك المجلات والصحف والروايات.

وقامت الدار بطبع وتوزيع بعض كتب التراث والكتب الدينية والكتب الأدبية ، و كذالك قامت بجمع أشعار الشعراء المحليين وطبعها في دواوين مثل روض انجيل والخليل ديوان الشاعر عبدالجليل الطباطباعي وديوان بن قاسم ثاني (نبطي)، ديوان الفيحاني (نبطي) ديوان الخليفي (فصيح نبطي) القطريات دوحة البلابل لعبدالرحمن المعاودة، وديوان لسان الحال،

وديوان احمد بن مشرف و كتاب "نزهة الأبصار بطرائق الأخيار والأسفار" لعبدالرحمن بن درهم . وجدت بجانب دار الكتب بعض المكتبات الخاصة كما وجدت مكتبات تتولى بيع الكتب والصحف والمجلات العربية والأجنبية التي تصدر آنذاك ومن أشهرها مكتبة التلميذ ومكتبة العروبة، ومكتبة قطر الوطنية و دارالثقافة، و مؤسسة دارالعلوم .

الصحافة

لم تظهر الصحافة المحلية في قطر الا بعد فترة متأخرة جدا عام 1969. كما كان الحال بالنسبة للتعليم والمنتديات والمكتبات وغيرها. وارتبط ظهور الصحافة في قطر بوزارة المعارف وظهور التعليم الحديث و كذالك بظهور مؤسسات الدولة. وصدرت أول مجلة قطرية هي (مجلة العروبة) التي أصدرها عبدالله حسين نعمة في عام 1969 م، وكانت مجلة أسبوعية سياسية اجتماعية، و في عام 1969 م صدرت مجلة الدوحة عن ادارة الاعلام بهدف ربط المستمعين باذاعة قطر . وصدرت في البداية كمجلة شهرية اعلامية لتغطيه نشاط الدولة الرسمي وعرض برامج الاذاعة . ولكن في عام 1972 بدأت المجلة في التحول الى مجلة سياسية ثقافية. كما انه وزارة الأعلام قامت باصدار مجلة اخرى في عام 1976 هي مجلة(الخليج الجديد) وهي مجلة شهرية. وصدرت مجلة أسبوعية وهي (مجلة العهد) في عام 1974 م. واضافة لمجلات ذوات طوابع خاصة فيها ما يهتم شؤن المرأة مثل مجلة الجوهر. مجلة (الصقر) عن القوات المسلحة و (ديارنا والعالم) و جريدة يومية (العرب) تصد عن مؤسسة العروبة .

الندوات والمحاضرات

الندوات والمحاضرات الثقافية في قطربدأت تقريبا في أوائل الستينات ولكنها لم تكن منتظمة . ولكنها في بداية السبعينات أخذت تظهر بشكل واضح ومنظم حيث قامت وزارة التربية والتعليم عام 1973 يتنظيم هذه المحاضرات. ولاشك ان لهذا العمل دورا كبيرا في نشرالوعي الثقافي وتهيئة الجو الفكري ونموه في البلاد . وهكذا نرى ان بداية السبعينات كانت نقطة تحول ملموس في ظهور عوامل فعالة في دفع الحركة الثقافية والأدبية بحو النمو السريع والتطور المستمر على أساس فكري متكامل ووعي ثقافي سليم .

الملخص

لقد بدأ اكتشاف النفط قبيل الحرب العالمية الثانية أي في عام 1939م. وباكتشاف البترول تغير نمط الحياة الاجتماعية فقد هجر الكثير من السكان بل الغالبية العظمى منهم البحر واتجهوا للعمل في الشركات حيث أن

العمل في هذه الشركات أكثر ضمانا وأوفر دخلا للفرد من عمل الغوص أو الصيد. ونتيجة للتطور الاقتصادي الكبير وللطفرة المادية التي حدثت بعد اكتشاف النفط، فقد أدى هذا التغير المادي السريع إلى التغير في جميع نواحي الحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية فغيرت الكثير من المفاهيم والعادات والتقاليد التي كانت راسخة في المجتمع.

كان للنفط الدور الأكبر في النهوض الثقافي من خلال التعليم الرسمي الذي ظهر منذ بداية الخمسينات وتطور في الستينات والسبعينات وصاحب ظهور التعليم أيضا ايفاد الطلاب للدراسة في الخارج منذ عام 1959م وما صاحب ذلك من التأثير والتأثر على مستوى الفكر ، كما أسهم في الإطلاع والانفتاح على التيارات الثقافية والأدبية.

المصادروالمراجع

1. الدوحة – مجلة المجلد 2، نوفمبر 2007م.
(Al-Doha Magazine. Vol. 2, Nov. 2007)
2 .المجتمع القطري من الغوص إلى التحضر. كلثم علي الغانم . ط-1، الدوحة 1989م.
(Qatari society: From pearl diving to urbanization. Kulthum Ali Al-Ghanim. ed.1, Doha, 1989)
3. الأدب القطري الحديث - د محمد عبدالرحيم كافود ط- 1، الدوحة - 1989م.
(Modern Qatari Literature - Dr. Muhammad Abdul Rahim Kafoud, 1st Edition, Doha - 1989 AD)
4. تطورالشعرالعربي الجديد بمنطقة خليج ، ماهر حسن فهمي، ط-1، قطر، 1993م.
(The development of new Arabic poetry in the Gulf region, Maher Hassan Fahmy, ed.1, Qatar, 1993)
6. قطر بين الماضي والحاضر . مصطفى مراد الدباغ ، المطبعة الراشدة، لبنان،1961م.
(Qatar between the past and the present. Mustafa Murad Al-Dabbagh, Al-Rashidah Press,
7. Al-Siddiqi, A. "QATAR'S OIL AND GASFIELDS: A REVIEW". Journal of Petroleum Geology, Vol. 22(3), pp. 345–358. 1999. Lebanon, 1961).
8. Al-Ghanim, Kulthum Ali. The Qatari Society from Diving to Urbanization. Author, Publisher, National Council for Culture, Arts and Heritage, 2002. ISBN, 9992120770
9. Al-Jaber, Mouza Sultan. Economic and Social Development in Qatar. Bloomsbury, London ; New York, 2013

10. Dar al-Kutub al-Qatariyyah in Twenty-Two Years. Ministry of Education, Qatar Press, first ed. , 1985.

11. Al-Siddiqi, A. "Qatar's Oil and Gasfields: A Review." Journal of Petroleum Geology, vol. 22, .no. 3, 1999, pp. 345–358

12. Diyala Journal for Humanities Research, volume 1, issue 33 (2009).